اهل الكشف ، كشيخه العارف البوزيدى ، وشيخ شيخه مولاى العربى الدرقاوى مع الشهرة والاستفاضة التى يثبت بمثلها النسب .

فصـــل

كان قدوم أحـد أجداد سيدى عبـد المؤمن الـكبير من الأندلس فى أواخر القرن الخامس ، ونزل بأحواز تلمسان ونشأ بها عقبه إلى أن اشتهر منهم الولى الشهير سيدى عبد المؤمن المـذكور المعروف بأبى قبرين ، وذلك فى القرن التاسع أو آخره ثم انتقل حفيده سيدى عبد المؤمن الصغير الى غمارة أواسط القرن العاشر خرج لطلب شيخ التربية فاتصل بالشيخ العارف أبى الحسن على الشلى ، نزيل جبل سريف ، المتوفى به سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، وهو من تلامذة العارف سيدى يوسف التليدى ، أحد تلامذة القطب الغزوانى ، فأخذ عنه وتخرج على يديه ، ثم انتقل يطلب محـلا يختلى فيه للعبادة ، فنزل بالموضع المسمى تجكان ، من قبيلة بنى منصور الغمارية ، وأقبل على العبادة ، وظهرت على يديه كرامات كانت السبب فى اشتهاره بتلك البـلاد واستقراره بها إلى أن مات وترك عقبه بها إلى اليوم .

البـاب الثـانى

فى ترجمة أجداد الشيخ رضى الله عنه من قبل الأب والأم

أما جده الأعلى سيدى عبد المؤمن بن على ، الذى تنسب اليه عائلة الشيخ رضى الله عنه ، فـكان من كبار الأولياء ، ذا مناقب عديدة وكرامات كثيرة شهيرة ، وكان له أتباع يحبونه ويعظمونه غاية التعظيم ، كسائر أهل القبيلة اليزناسية . وكان مقصودا بينهم للتبرك والانتفاع به فى الدين لمـا رأوا من فضله ، وشاهدوا من كراماته ، وكان يقيم بموضعين من القبيلة المذكورة وله فى كل منهما تلامذة وأصحاب أحـدهما يسمى بيدر ، والآخر ورطاس ، وبهذا الأخير كانت وفاته ، وبه دفن أولا . ثم جاء أهل بيدر ونقلوه اليها .

فلما علم أهل ورطاس بذلك قصدوهم لرده إلى مدفنه الأول ، فامتنع من ذلك أهل بيدر ووقع بينهم نزاع كاد يفضى إلى المحاربة والقتال ، فبينماهم كذلك إذ وقف الشيخ على واحد منهم فى رؤيا منامية ، فقال له : لم هذا النزاع وأنا موجود بالقبرين معاً ، فمرهم يحفرون على القبرين فانهم يجدونى فى كل منهما ، فلما أخبرهم بما رأى فعلوا ذلك ، فوجدوا الشيخ فى كل من القبرين ، فرضى الفريقان . وبنى كل واحد على القبر الذى عنده قبة ، هما موجودتان إلى الآن ، وكلتاهما مزارة مقصودة .

وبسبب هذه الكرامة اشتهر فى قبيلة بنى يزناسن بسيدى عبدالمؤمن ، أبو قبرين . ولا يزال أهل تلك النواحى يشاهدون له كرامات ويؤثرون عنه مناقب وحكايات ، إلا أنه لقلة اعتنائهم بالتاريخ لم يدون أحد منهم للشيخ ترجمة ولا كتب تاريخ وفاته على التعيين .

فصل

وأما حفيده سيدى عبد المؤمن دفين تجكان فانه لما قدم اليها بعد أخذه عن العارف أبى الحسن الشلى نزل على أحد سكان القرية فأكرمه باعتباره ضيفا غريبا ، ثم كلفه برعى غنمه ، فكان يخرج بها صباحاً ثم يذهب إلى محل بعيد فيه حفرة واسعة فيجمعها هناك ثم يقبل على العبادة إلى آخر النهار ثم يعود بها ، وأحيانا يذهب لناحية أخرى فيتركها وحدها وينصرف . فمر ذات يوم بعض الناس على تلك الغنم ، ورأى ذئبا يحوم حولها ، فذهب إلى ربها وأخبره ، فذهب للتحقق مما قال فوجد الغنم ترعى والذئب يحرسها ، فتعجب مما رأى ورجع إلى موضعه ، فلما جاء المترجم آخر النهار سأله عن الحقيقة وألحّ عليه فى ذلك ، فأخبره أنه يذهب إلى مكة المكرمة للصلاة بها ، ويترك الذئب حارساً للغنم ، فترك الرجل بعد ذلك تكليفه برعى الغنم ، وقال له : اشتغل بعلمك وعبادتك ، ولا تفكر فى القوت والمؤنة ، وبالغ فى تعظيمه

واحترامه ، واستمر على خدمته إلى أن مات . ودعا له الشيخ بدعوات لا يزال أثرها ساريا فى عقبه إلى اليوم . ثم اشتهر أمره بتلك النواحى ، وكثر ظهور الكرامات وخوارق العادات على يديه كما هو مشهور بين أهل تلك النواحى إلى اليوم ، وذكرنا منها جملة فى المؤذن وفى الأصل .

توفى بتجكان ، وقبره مزارة بها ، وعليه قبة عظيمة ، إلا أننا لم نعثر على تعيين سنة وفاته .

فصـــل

وأما جد الشيخ الأدنى والد والده العارف الكبير . القطب الشهير سيدى أحمد بن عبد المؤمن ، فكان أعجوبة عصره ، ونادرة زمانه ومفرد وقته فى العلم والمعرفة وهداية الخلق مع كثرة الاتباع وبعد الصيت وانتشار الذكر .

وقد أفردت ترجمته بتأليف ، سميته : المؤذن لمناقب سيدى أحمد بن عبد المؤمن .

ولد رضى الله عنه على رأس المائتين بعد الألف ، وحفظ القرآن بالسبع وأتقن علم القراءآت وتضلع منه غاية ، ثم طلب العلم ببلده على رجل غريب من الأولياء وبسبب غريب ، وهو أنه قصد ضريح ولى الله سيدى احمد الفلالى ، فكان يختم فيه كل ليلة ختمة كاملة من القرآن العظيم فى الصلاة ، ويسأل الله تعالى أن ييسر له من يأخذ عنه العلم ، لأنه تحير فى ذلك ، ولم ينشرح صدره لطلبه بفاس ، فاستمر على ذلك أربعين ليلة ختم فيها أربعين ختمة ، وصبيحة اليوم الحادى والأربعين نزل من ضريح الشيخ المذكور ، فوجد بالطريق رجلا منكمشاً فى مرقعته من شدة البرد ، وعن يمينه وشماله أكوام من الثلج وحال الغربة بادية عليه فسلم ، وسأله عن حاله ، فأجابه بأنه غريب مسكين ، فطلب منه الشيخ أن ينزل معه ، فامتنع واعتذر بأن رجليه

حافيتان ولايقدر على المشى فى الثلج بدون حذاء فخلع الشيخ حذاءه وأعطاه إياه ، فلبسه ونزل معه فأطعمه وأكرمه ، وبقى معه ثلاثة أيام . وفى اليوم الرابع قال له : أتعرف من أنا . قال لا . قال أنا من بلاد بعيدة جئت مخصوصاً من اجلك أرسلنى سيدى على بن أحمد من جبل صرصر لأعلمك العلم ، ففرح غاية بهذه الكرامة التى أجاب الله بها دعوته على يد الولى الشهير سيدى على ابن أحمد ، وذلك من طريق الغيب والتصرف بعد الموت لأن سيدى على بن أحمد المذكور مات سنة سبع وعشرين وألف ، فلازمه ستة أشهر ظهرت عليه فيها بركته مع ما كان عليه الشيخ من التقوى والصلاح والاجتهاد فى العبادة ، ولاحت عليه لوائح الفتح فى سائر العلوم المعقول منها والمنقول ، بحيث صار إمام وقته فى تلك البلاد وماوالاها فى علوم الظاهر ، ولم يجلس بين يدى عالم سوى ذلك الشيخ . إلا فى علم المنطق فانه أخذه بعد ذلك عن تلميذه فى الطريق العلامة سيدى أحمد بن عجيبة الصغير . وإلا علم الفلك فانه أخذه عن تلميذه فى الطريق أيضا الفقيه مفرج . ثم بعد هذا تعلقت همته بسلوك الطريق ، فأخذ أولا الطريقة الناصرية على الشيخ محمد خمريش ، وأسس زاوية ببلده لذكر وظائفها ، ثم لما تحقق أنها طريق ذكر وتبرك ، لا طريق فتح وسلوك جرد سيف العزم لطلب الشيخ المربى فقصد الحجاز لأداء فريضة الحج والبحث عن القطب ، ومر فى طريقه على القاهرة ، فاجتمع بالعارف الصاوى ، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية ، بقصد التبرك . ثم لما وصل إلى عرفة ، بينما هو واقف بها إذ حاذاه رجل ، وقال له . أتدرى من قبل الله حجته فى هذا الموقف . قال لا . ، قال قبل حجتى وحجتك وبسببنا قبل حجة الجميع . ثم قال له . والقطب الذى تطلبه تركته فى بلدك ، وهو العربى بن أحمد الدرقاوى ، قال فحصل لى من الفرح مالا يعلمه إلا الله ، ولولاخوفى من قول الناس حج مازار لرجعت من مكة .

ثم لما رجع إلى وطنه لم يمكث مع أهله إلا ثلاثة أيام ، ثم توجه لمقابلة الشيخ المذكور ، ولما كان بالطريق مر على عين ماء ، وكان برفقته أخوه ، ورجل آخر ، فتوضؤا وصلى بهم الظهر ، ثم قام إلى تلك العين وجعل يغتسل ، فقال ذلك الرفيق فى نفسه لعل الشيخ كان جنباً وتذكر ذلك بعد الصلاة فلما فرغ سأله عن سبب اغتساله . قال إنى اغتسلت من علمى ومن عملى . إلا ما يأتينى على يد هذا الرجل . ثم توجه إلى الشيخ مولاى العربى الدرقاوى رضى الله عنه ، ففرح به كثيرا ولقنه الاسم المفرد بالكيفية التى أخذها عن شيخه القطب الجمل رضى الله عنه ، وهى تشخيص حروفه مجردة فى غير لوح ولا جدار . ثم لم تمض عليه إلا أيام يسيرة حتى لاح له الفتح وطويت له الطريق فى العلم الباطن كما طويت له فى العلم الظاهر وصار يترقى فى المعارف إلى أن حل مقام القطبية وورث مقام شيخه كما أخبر شيخه بذلك قبل وفاته وبعد موته لبعض أصحابه ، وأذن له شيخه فى التربية والتسليك ، فتصدر لذلك فى حياة شيخه ، واشتهر و بعد صيته ، وأقبل الخلق عليه وقصدوه للانتفاع فى علم الظاهر والباطن فانه كان مفتياً فى النوازل موثقاً من الطبقة العليا ، كما وقفت على كثير من الوثائق من إملائه وبخطه المتقن الذى كتب به عدة من الكتب ، وكان فصيح اللسان ، طويل الباع فى العلوم والمعارف ، شديد الاستحضار ، آية من آيات الله . إذا تكلم بهر العقول حتى كان يعبر عنه بعض العارفين بأعجوبة الزمان .

وقال بعض بنى سودة لولده سيدى الصديق . لقد طفت بالمشرق والمغرب للبحث عن الشيخ ، ورأيت عدداً كبيراً من المشايخ ، فما رأيت أفضل من والدك ولا أعتقد أن يوجد من هو أكمل منه وأفضل إلا النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال له العلامة الصالح سيدى الحسن كنبور . لما اجتمع به ان العادة جارية

بأن من صرف عنايته لعمارة الباطن لا يتهيأ له ضبط الظاهر ، وأنت جمعت بين الظاهر والباطن .

ولما اجتمع بشيخ القراء فى عصره العلامة سيدى إدريس البكراوى ، وبات يذاكره ليلة إلى الصباح فى علم القراءات . قال له . ما كنت أظن أنه بقى من يذاكرنى فى هذا الفن ، وإذا مت أنا وأنت انقطع من يتقنه فقال له الشيخ لا تقل هذا . فان فضل الله لا ينقطع .

ولما قصده الشريف العلامة السيد محمد التهامى العلوى لأخذ الطريق عنه باشارة من الشيخ مولاى العربى رضى الله عنه وجده فى بعض المداشر ببنى زروال يقرأ الحزب من القرآن مع الفقراء عقب صلاة الصبح ، فكان أول ما وقع سمعه عليه قول الله تعالى والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، قال فلما انتهى من قراءة الحزب شرع يتكلم على هذه الآية فأتى بما بهر العقول واستمر يتكلم عليها إلى وقت صلاة الضحى .

وكان ذا جد واجتهاد فى العبادة وعمارة الوقت حضراً وسفراً .

وكان ورده من القرآن ختمة كل ليلة وكان له ورد من صحيح البخارى يقرأه كل يوم بعد صلاة الصبح .

وله كتاب نفيس فى آداب المريد ورسائل عديدة مجموعة فى مجلدة لطيفة هى غاية فى الارشاد والدلالة على الله تعالى وله تقاييد كثيرة منها تقييد على الأبيات المنسوبة للجنيد التى أولها توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر وصدرت على يديه كرامات كثيرة جداً .

منها أنه أتى مرة إلى تطوان ، وكان قائدها أشعاش سجن رجلا فجاءت والدته إلى الشيخ وطلبت منه أن يستشفع لولدها عند القائد فأجاب طلبها وتوجه إليه ، فلما رآه القائد من بعيد عرف أنه يقصده فى أمر ، فقال لحاجبه اصرفه عنى بما تراه ، فخرج إلى الشيخ ولقيه من بعيد قبل أن يصل إلى

باب المحكمة سائلا إياه عن مراده ، فقال له جئت مستشفعاً فى ولد هذه المرأة ثم غرز عكازه بالأرض، وقال الله مادا بها صوته فصار القائد يشير إلى الحاجب نحو السجن أى اذهب وأخرجه فذهب وأخرجه وانصرف الشيخ فتكلم القائد، وقال لأصحابه لو لا أنكم بادرتم باخراج الرجل من السجن لخرجت روحى ، فانه لما غرز عكازه فى الأرض أحسست بها كأنها مغروزة فى صدرى حتى كدت أموت ولم يبق لى لسان أنطق به .

ومنها أن تلميذه سيدى على حلحول كان معه بتجكان مدة طويلة ، قال فبينا أنا ذات يوم جالس إذا بالشيخ أتانى بكتاب مختوم ، وقال : اذهب على بركة الله فأخذت الكتاب وانصرفت ، ولم أدر لمن الكتاب ، ولا إلى أين أذهب فقصدت دارى ، فلما كنت بنصف الطريق قابلتنى امرأة من مدشرنا فقالت عظم الله أجرك ، فقلت لها فيمن ، قالت قد وقعت دارك على المرأة والأولاد ومات الجميع وقد دفنوا ، قال فعند ذلك فكرت فى كتاب الشيخ وعلمت أنه لى ففتحته فاذا فيه ، وبعد فما دمت تركن إلى أهل وولد ووطن واخلاء ومسكن ، فلست بقائل لا إله إلا الله على الاطلاق والسلام ، قال فرجعت إليه ، فلما رآنى قال قبل أن أكلمه عظم الله أجرك وفى سبيل الله ما نزل .

ومنها أن جماعة من تلامذته بفاس دعوه فى بعض قدماته إليها لتناول طعام الغداء واتفقت دعوتهم فى يوم واحد ، فأجاب الكل وحضر عند الجميع فى وقت واحد .

ومنها أنه دخل يوماً إلى المسجد لصلاة الجمعة وقد بقى لخروج الخطيب نحو ربع ساعة ، فافتتح يصلى ركعتين فختم فيهما القرآن بتمامه ورجل إلى جنبه يستمع ، ثم خرج الخطيب .

وله كرامات غريبة ذكرتها فى الأصل وفى ترجمته المفردة مات ضحوة يوم

الأربعاء سابع عشر جمادى الأولى من سنة اثنتين وستين ومائتين وألف ودفن بتجكان ، وقبره مزارة عظيمة وعليه قبة حافلة ، ويقام له مولد كل سنة .

فصل

وأما والد الشيخ رضى الله عنه ، وهو ولد المترجم قبله فهو العارف بالله الهائم فى محبته العائم فى بحر مشاهدته صاحب الأذواق والأحوال والكرامات أحد الأبدال سيدى الصديق رضى الله عنه ولد سنة ست وأربعين ومائتين وألف ، وحفظ القرآن فى حياة والده ثم قبل التوجه لطلب العلم توفى والده ولم يترك ولداً غيره ، فعزم أصحاب أبيه على توجيهه إلى فاس لطلب العلم فامتنعت والدته إذ لم يكن لها ولد غيره ، وليس عندها من يقوم بالزاوية العامرة بالفقراء والمقصودة للزوار والضيوف فزوجته وبقى معها يعمر الزاوية ، ثم أخذ الطريق عن تلميذ والده العارف بالله سيدى الهاشمى بوزيد الذى كان يسمع ذكره للاسم المفرد من قبره بعد موته إلى أن أتى إليه بعض إخوانه من تلامذة الشيخ ، وقال له تأدب مع الحضرة فانك انتقلت إلى عالم البرزخ فسكت وسلك على يديه إلى أن فتح له فى أقرب وقت فساد واشتهر وأقبل عليه الخاص والعام ، وكان ذا جاه عظيم بين القبائل الجبلية الغمارية يدخل فى الشفاعات فى الأمور العظام ويتوسط فى الخصومات والجرائم الجسام لا ترد له كلمة ولا تسقط له شفاعة سواء بين العائلات والأفراد وبين عموم القبائل ، وكان مغرماً بشراء العبيد والأماء والبغال فاقتنى من ذلك الكثير ، وكان لا يبقى فى يديه من الدنيا شيئا ولو دخلت الآلاف المؤلفة وأضاع كل ما تركه والده من كتب وغيرها ولم يلتفت إلى شىء من ذلك .

وكان عظيم الشوكة فى الباطن لا يسوء أحد الأدب معه إلا عوقب فى

الحال وكان والده رضى الله عنه أخبر عنه بذلك فكان يقول لأصحابه إذا شاب رأسه وطار نعاسه فكونوا منه على بال فكان لاينـام الليل إلا قليلا وكانت عادته أن يقوم ويتوضأ ويؤذن ويصلى مدة ثم يرقد قليلا ثم يقوم ويتوضأ ويؤذن ويصلى ماشـاء الله ، ثم يرقد ، وهكذا مراراً إلى أن يطلع الفجر .

وكان رقيق القلب إذا سمع موعظة بكى ، كما أنه كان إذا سمع آلة الطرب يكثر من البكاء ويحصل له شوق عظيم إلى الحضرة العلية

وكان محبوباً للخاصة والعامة منور الشيبة بهى الطلعة متواضعاً فيه دعابة لايمله جليسه يمازح العامة ويباسطهم إذا جلسوا اليه ، ويكون واحداً منهم لايتميز عنهم وربما حادثهم فى أمور النكاح والنساء ، وكان يحب التزوج فتزوج كثيراً ولم يمت حتى رأى نحو مائة من الأولاد والأحفاد والأسباط وكان بين بكره أول أولاده وآخرهم مايزيد على ستين سنة .

ذكر مولانا الشيـخ الوالد قدس سره أن بعض أهل الله قال له : إن والدك تحت نظر سبعة من أكابر الأوليـاء فو الله لو توجه إلى جبل لخرقه بنظرته لسلامة صـدره وحسن نيته ، وكان هو يقول فى حقـه أنه من الأبدال وجرت على يديه كرامات عديدة منها أن صاحبه أحمد عريط وكان يمازحه كثيراً سأله يوماً فقال له متى أموت ياسيدى فقال له فى اليوم الذى تذهب إلى السوق وترجع بالـكيل على رأسك لاتكيل به لأحد وكانت حرفته كيل الحب بالسوق فبعد وفاة المترجم بمدة ذهب يوم الثـلاثاء إلى السوق واستمر طول اليوم فلم يدخل السوق حب فرجع ولم يكتل شيئاً فلما وصل إلى بيتـه . قال لأهله إنى غـداً أموت فلابد ان أعمـل الجنازة فى حياتى فصـار أهله يردونه عن ذلك وهو يقول لايمـكن أن يتخلف خبر سيدى الحاج الصديق فذبح جدياً وأولم للطلبة الذين يقرأون القرآن فى

الجنايز وقرأوا القرآن على العادة فلما نام بالليل وأصبح تأخر فى النوم فحركه اهله فاذا هو ميت .

ومنها أنه كان جالساً مع أعيان القبيلة المنصورية فقال لهم على سبيل المباسطة كما كانت عادته معهم ليس من المليح لفلان لواحد منهم إلا أن يموت يوم الاثنين وهو حاضر صحيح ، فلما كان يوم الاثنين أصبح الرجل المذكور ميتاً ، فلما وصله الخبر قال نحن إنما كنا نمزح معه وهو ظن أن الأمر جد .

ومنها أن أولاد الصديق الطويل من بنى سلمان كانوا يخدمونه وكانوا هم أعيان قبيلتهم وسراتها فصدر منهم ما أوجب عداوة أهل القبيلة بأسرها لهم وهم أزيد من ألفى نفس وعزموا على القدوم إلى دارهم لحرقها وتخريبها عقوبة لهم على ما اقترفوه فجاءو إلى المترجم وأخبروه بعزم أهل القبيلة وقالوا لا طاقة لنا بأهل القبيلة فقال لهم لاتخافوا أنتم البارود ونحن الرصاص فلما رجعوا إلى بيتهم جاءت إليهم القبيلة فنشبوا معهم الحرب وصمدوا لهم نحو ساعة ثم شتتوا شملهم شذر مذر وهم سبعة والقبيلة نحو الفين ولم يمت من الأخوة أحد فكانت وقعة عجيبة لم يسمع بمثلها إلى غير ذلك مما يطول مات يوم الجمعة ثالث وعشرى ذى القعدة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة الف .

فصـــــل

وأما والدة الشيخ فهى الشريفة الجليلة الولية الصالحة الذاكرة القانتة فاطمة بنت الشيخ العارف العلامة أبى العباس احمد ابن عجيبة الصغير كانت عديمة النظير فى الصلاح والتقوى والنسك والعبادة أخذت الطريق عن عمها العارف الشهير سيدى عبد القادر ابن عجيبة تلميذ الجد سيدى احمد ابن عبد المؤمن السابق وصحبته وتأدبت بأدب أهل الطريق وتخلقت بأخلاق أهل الصدق والتصديق لسانها لايفتر عن الاستغفار فان كلمها أحد أجابته

ثم رجعت إلى الاستغفار وكانت تهيء لزوجها أمر الزواج وتصلح من شأنه وتدخله على العرايس التى أتى بهن ضراتها ثم تقبل على العبادة ولا يأخذها مايأخذ النساء عند ذلك من الغيرة ، وكانت لشهرتها بالصلاح والتقوى عظيمة الجاه مقبولة الشفاعة يقصدها الناس لذلك وكانت عند كبرها تكثر السفر لزيارة شيخها وأحياناً تصحب معها نجلها مولانا الشيخ الوالد ليتبرك بالصالحين وأزارته ضريح القطب مولانا عبد السلام بن مشيش ، وكانت حريصة على تربيته على الاعتقاد والمحبة وتعظيم أهل الله والمحافظة على أداء الفرائض والتأدب بآداب الشريعة ، وكانت تقوم بالليل ، فاذا صلت الصبح جلست لذكر الهيللة جهراً مع جماعة النسوة الى أن تطلع الشمس وتصلى الضحى .

ماتت سنة اربع وعشرين وثلاثمائة وألف

فصل

وأما والدها فهو الشيخ العلامة الفقيه الصوفى العارف أبو العباس احمد بن احمد ابن عجيبة الحسنى .

ولد رابع جمادى الثانية من سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف بقرية الزميج من القبيلة الأنجرية ، ومات والده وله من العمر سنتان ، فنشأ فى حجر بعض تلامذة أبيه ، ولما حفظ القرآن توجه إلى فاس لطلب العلم ، فأخذ بها عن جهابذة شيوخها ، كبدر الدين الحومى ، وعلى بن عبد السلام التسولى شارح التحفة والقاضى عبد الهادى بن عبد الله العلوى وأضرابهم وأقام مدة اجتهد فيها وحصل ثم رجع إلى بلده سنة سبع وأربعين ، واجتمع بجدنا سيدى احمد بن عبد المؤمن فأخذ عنه وسلك على يديه وكان علامة محققاً فصيحاً بليغاً حافظاً له باع فى العلوم لاسيما المعقولات ، فكان لانظير له فيها بتلك النواحى

واتفق أن قدم إلى طنجة بعض علماء شنقيط ، فاستطالوا على أهلها

يحفظهم ومعرفتهم وصاروا يناظرون طلبتها ويجهلونهم فى المحافل .

فلما اشتهر أمر المترجم طلبه أهل طنجة فى القدوم إليها لمناظرة الشناقطة فأجاب طلبهم وقدم إلى طنجة و ناظر المذكورين وقهرهم و أظهر قصورهم فرحلوا عنها وأحبه لذلك أهلها وطلبوا منه الاقامة بها للافادة والتدريس ، وزوجه بعض سراتها بابنته وصار ينفق عليه وأكرمه غاية فأقام بها إلى أن مات ، وكانت دروسه ممتعة للغاية ، يلقيها بفصاحة واستحضار وحفظ يتعجب منه الحاضرون .

وكان يعتريه جذب فى بعض الاحيان . توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، فلما ركب البابور ووصل وقت الصلاة قام لأدائها فاما مر بين يديه بعض الخدمة بالبابور أو منعه من الصلاة فى مكان معين منه .

فقال لايمكن السفر تحت سيطرة الكفار المؤدى لضياع الفرائض . فلما رست الباخرة بمرسى جبل طارق نزل ورجع الى طنجة ألف مؤلفات إلا أن يد الاهمال والضياع سطت عليها فأتلفتها وأخفت معالمها ، فلم نر منها إلا أوراقاً من فهرسته . وبلغنى أن له رسالة فى الخواص وكتابا فى العبادات ورسائل فى التصوف .

وكان يتمنى حضور الجهاد لما بدت بوادر الخلاف بين المسلمين والاسبان ولكن عاجلته المنية قبل بلوغ الأمنية ، فمات قبل ذلك بسنة ، فان الحرب وقعت سنة ست وسبعين ومائتين وألف ، ومات هو سنة خمس وسبعين لم يبلغ الستين ، ودفن ببيته الذى كان يسكنه وفتح له باب إلى الطريق وجعل ضريحا له .

فصل

وأما والده فهو الشيخ الامام الصوفى المفسر العارف الكبير أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدى بن عجيبة .

ولد سنة ستين أو إحدى وستين ومائة وألف وحفظ القرآن وبعض المتون كالآجرومية والخلاصة والمرشد المعين والقرطبية ومورد الظمآن وحرز الأمانى وغيرها . ونشأ فى صغره نشأة عجيبة فى المروءة والتقوى ومجانبة اللعب والصبيان مع حب العبادة والانقطاع لها وقيام الليل وهو دون البلوغ . ولما بلغ من العمر تسع عشرة سنة توجه إلى القصر الكبير لطلب العلم به فأخذ عن الفقيه محمد السملالى السوسى ، ولازمه سنتين بانقطاع واجتهاد ، فكان يحضر عليه سبعة دروس فى اليوم والليلة مع استدامة التهجد بالثلث الأخير من الليل ، ثم رحل إلى تطوان فأخذ بها عن أحمد الرشتى وعبد الكريم بن قريش ولازمهما فى النحو والصرف والمنطق والكلام والفقه والحديث والتفسير والعروض والاصول والبلاغة والسير ، وسمع من الاخير صحيح البخارى أزيد من سبع مرات وصحيح مسلم مرة واحدة وعن محمد الورزيزى فى الاصول والبلاغة والفقه ، وأجاز له اجازة عامة . وعن محمد العباس النحوى فى النحو ، وعن عبد السلام بن قريش فى التفسير والحديث وعن الفقيه الشهير أبى عبد الله الجنوى فى الفقه والبلاغة والاصول والتصوف والتفسير ، وسمع عليه صحيح البخارى مرتين ، وجزءاً من صحيح مسلم ، ثم رحل إلى فاس فسمع بها الصحيح على العلامة محمد التاودى بن سودة ، وأجاز له أجازة عامة ، وأخذ عن الفقيه محمد بنيس علم الفرائض وجزءاً من التسهيل لابن مالك وأجاز له أجازة عامة . وعن أحمد الزعرى بعضا من التفسير . وعن العلامة الطيب بن كيران فى البلاغة ، وحصل وبرع فى العلوم ، ثم رجع إلى تطوان فأقام مدة يشتغل بالعلم ثم تركه وانقطع للعبادة بسبب قراءته لشرح ابن عباد على الحكم فان نفسه عزفت عن الدنيا وأبغضها وأهلها وصار

يفر من الناس ويخرج إلى الاماكن الخالية فيصلى خمسة عشر حزباً من القرآن وفى الليل كذلك ولا يفتر عن ذكر الله ليلا ونهاراً ، ثم رجع إلى العلم بسبب رؤيا رآها أمره فيها بعض الصالحين بذلك ، لسكنه رجع إليه بظاهره لا بقلبه إذ تمكن منه حب العبادة ، ثم صار يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى حفظ دلائل الخيرات ، ثم رأى أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى السبحة أقرب للحضور وأجمع للقلب فأقبل عليها واستغرق وقته فيها فكانت تشرق عليه أنوار وتظهر له زخارف وقصور وخوارق فيعرض عنها . ثم حبب اليه القرآن العظيم فأقبل على تلاوته فكان يختمه فى الصلاة أربع عشرة مرة فى الشهر فدام على هذه الحالة من التدريس مع العبادة نحو ست عشرة سنة ، نفع الله خلقاً كثيراً تخرجوا على يديه فى العلم والصلاح والتقوى . ثم سافر إلى فاس لزيارة شيوخه . ولما كان راجعاً مر على قبيلة بنى زروال لزيارة الشيخ الأكبر مولاى العربى الدرقاوى ، فوجد عنده تلميذه العارف الكبير سيدى محمد البوزيدى رضى الله عنهما فلقيه أولا قبل الشيخ ، فكان أول ما خاطبه به جعلك الله كالجنيد يتبعك اربع عشرة مائة مرقعة ثم دخل به على الشيخ مولاى العربى ، فقال له جعلك الله كالجيلانى ، فقال له البوزيدى أنا قلت له كالجنيد فقال يجمع بينهما إن شاء الله فبقى معهما ثلاثة أيام حصلت له فيها جذبة إلاهية ثم رجع إلى تطوان وهو على غير حالته الأولى ثم صار البوزيدى يكاتبه ويراسله ، فكتب إليه مرة . إن أردت العلوم ومخازن الفهوم فعليك بالقدوم . وكان يقول لفقراء تطوان . والله إن حاجة سيدى أحمد بن عجيبة لعندى فليقدم على ثم بعد مدة قدم هو إلى تطوان ، فأخذ المترجم عنه وتلقن منه . ثم قال له : أنا بين يديك مرنى بما شئت وافعل بى ما شئت ، فقال تبارك الله عليك ثم التفت الى بعض أصحابه ، وقال لهم ان سيدى أحمد متصف بالزهد والورع والتوكل والصبر والحلم والرضا والتسليم والشفقة والرحمة والسخاء والكرم حتى

عد نحو اثنى عشر مقاما . فقال له المترجم يا سيدى أهذا هو التصوف ، فقال له هذا تصوف الظاهر وبقى تصوف الباطن ستعرفه إن شاء الله ، ثم صحبه وصار يتردد اليه فى غمارة ، ويخدمه بنفسه وماله ، وأقبل على المجاهدة فى النفس والهوى بخرق العوائد وارتكاب مايثقل على النفس فلبس جلابة من الصوف قصيرة غليظة ، وخرج يمشى فى الأسواق مع الفقراء وهم يذكرون وفى عنقه سبحة غليظة ، فرغب اليه أهله أن يترك ذلك ويرجع لحالته ، فأبى . فبكوا عليه ، وعزى بعضهم بعضا فيه كما يعزى فى الميت ، وصارت الوفود من الناس تأتى لتعزية أهله . فلما رأى ذلك استأذن شيخه فى لبس المرقعة فلبسها ففرعنه الناس . ثم أمره شيخه باخراج كل مايفضل عن قوته آخر كل يوم ، ولا يدخر لغده شيئا . ثم أمره بخدمة الفقراء وغسل ثيابهم بنفسه ، والسؤال فى الأسواق والدكاكين . وعلى أبواب المساجد عند خروج الناس من الصلاة ، فثقل ذلك عليه غاية . حتى كان يتمنى الموت ويستحليه .

ثم لما رأى من نفسه امتناعا حلف يمينا مغلظة ليفعلن ذلك ، فذهب الى باب مسجد ، وجلس مع العجايز والعميان ومد يده للسؤال . فكان الناس يغطون وجوههم حياء منه . ففعل ذلك مرارا عند جميع أبواب مساجد تطوان العامرة ، ثم أمره بعد ذلك بكنس الأسواق وحمل ما فيها من الزبالة على عنقه . ورمى ذلك خارج البلد . ففعل ذلك مرارا وأمره بحمل الجراب على ظهره ، فصار يحمله وهو امام ببعض المساجد . فكان اذا دخل المحراب وضعه ، فاذا أتم الصلاة أعاده ، وخرج يسأل الناس فى الأسواق الى غير ذلك من أمثال هذا وأشباهه إلى أن فتح الله تعالى عليه الفتح الكامل وصار من أهل الشهود والعيان وبلغ رتبة الكمال والتكميل ، فأذن له بالتصدر للارشاد والتذكير والتربية . فخرج سائحا فى القبائل والمدن ، فأقبل عليه الخلق وانتفعوا به انتفاعاً ظاهرا . وتاب على يديه الجم الغفير ، ودخلوا فى طريق أهل الله أفواجاً . وحصل له فى ذلك نوادر وأخبار يطول ذكرها .

وأدخلوه السجن بسبب لبس المرقعة والاعراض عن التدريس فبقى به مدة الى أن أشهدوا عليه بالتوبة والرجوع فشهد بذلك عملا بقوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ، وقصته فى ذلك طويلة مشهورة .

وألف مؤلفات نفيسة أكثرها فى التصوف .

منها تفسيره البحر المديد الذى جمع فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن ، وهو فى أربعة مجلدات وايقاظ الهمم فى شرح الحكم وشرح المباحث الأصلية ، وهما مطبوعان معا ، وثلاثة تفاسير على الفاتحة ، وشرح الهمزية ، وشرح البردة ، وشرح الوظيفة الزروقية ، وشرح الحزب الكبير للشاذلى ، وشرح أسماء الله الحسنى ، وشرح المنفرجة لابن النحوى ، وشرح تائية الجعيدى ، وتأليف فى النية وأحكامها . وآخر فى ذم الغيبة . وآخر فى الأذكار النبوية . وتأليف فى القراءات العشر فى مجلد وأزهار البستان فى طبقات الأعيان ، وشرح صلاة ابن مشيش . وشرح خمرية ابن الفارض . وشرح قصيدة الرفاعى التى أولها : يا من تعاظم حتى رق معناه ، وشرح بعض مقطعات الششترى . وشرح النونية له . وشرح رائية شيخه البوزيدى فى السلوك . وشرح تائيته أيضا . وسلك الدرر فى القضاء والقدر . وشرح أبيات : توضأ بماء الغيب والتشوف فى حقائق التصوف . وكتاب الخمرة الأزلية . وكتاب الطلاسم التى حجبت عن التوحيد الخاص . وشرح صلاة ابن العربى الحاتمى . وحاشية على الجامع الصغير للسيوطى . وشرح الآجرومية بالنحو والتصوف ، وهو الذى جرد بعضهم منه قسم التصوف المطبوع . وله مؤلفات أخرى لم تتم . وجرى على يديه كرامات يطول ذكرها .

مات بقبيلة بنى سلمان الغمارية عند شيخه البوزيدى فى حياته ، ثم بعد مدة نقله أصحابه ليلا من غير علم أهل القبيلة المذكورة ، فكانوا يسيرون

به ليلا ويكمنون نهارا إلى أن أوصلوه إلى الزميج من القبيلة الأنجرية حيث ضريحه الآن .

وكانت وفاته سنة أربع وعشرين ومائتين وألف .

الباب الثالث

فى ولادته ونشأته وطلبه للعلم وسلوكه الطريق ومجمل تاريخ حياته

ولد رضى الله عنه ليلة الجمعة ، خامس رجب سنة خمس وتسعين ومائتين وألف بتجكان ، من قبيلة بنى منصور الغمارية .

وحفظ القرآن وهو صغير برواية ورش ؛ ثم شرع فى حفظه بالروايات السبع ، فقرأ ختمة برواية المكى على شقيقه سيدى احمد ، ثم شرع فى طلب العلم ببلده على اخيه العلامة البارع ، صاحب الأخلاق الحسنة سيدى محمد القاضى وعلى ابن عمه العلامة المحقق زين العابدين بن محمد المؤذن ، فأخذ عنهما بعض المبادىء ، ثم رحل به والده إلى فاس سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة وألف .

وانزله بمدرسة الشراطين ، ولم يذهب به إلى زاوية اصحاب ابيه لينقطع للعلم ولا يشغله الفقراء عن طلبه ، فابتدأ يقرأ الآجرومية بشرح السودانى على أبى عبد الله محمد بن التهامى كنون وبعض الكتب الصغيرة على غيره فصعب عليه الأمر وصار لايدرى مايقوله الأساتذة فقابله يوماً رجل لايعرفه فقال له اعطنى سبعة ريال ولم تكن عنده فذهب فى الحال ورهن شرح عبد الباقى الزرقانى على مختصر خليل وأتاه بها وانصرف ثم بعد ذلك رأى فى ليلة كأن رجلا أتاه وقال له هات الكتاب الفلانى لكتاب سماه فأتاه به فصار يقرأه معه إلى أن أكمله أوقارب فلما انتبه وذهب للدرس وجد نفسه كأنه كان يقرأ منذ سنين وصار لايقرر الأستاذ معنى إلا أدركه فى الحال وكذلك إذا طالع هو وحده يفهم بسرعة من غير معين ولا مذاكر ، ثم حصل له مرض ألزمه الفراش ، فبينما هو